نـافـذة

لماذا يريدون لسورية الدمار؟!

لماذا يريدون تدمير سورية؟!.. لماذا شعبها يقتل ويهجّر؟!... هل لأن تاريخها مثوى النجوم، وموئل الحضارات والعلوم؟! هل لأن أرضها أنبتت أول المساكن والعلاقات الإنسانية، وأول قصيدة حب؟! هل لأن شعبها أنتج أول حبّة قمح، وأقدم أبجدية.. هل لأنها قدّمت للبشرية أول نوطة موسيقية، وأول مدرسة لتعليم الموسيقا، وأول قرية في تاريخ البشرية... هل لأن سيدنا إبراهيم، قال على أرضها أن الإله ليس إلهاً للطبيعة أو السماء، بل هو إله أخلاقي، والعدل والاستقامة أساسيان بالنسبة له.. هل لأن أرضها كانت موطن الديانة المسيحية، ومنطلق الفتح الإسلامي إلى أقاصي المعمورة... هل لأن حكاية تطور البشرية تبدأ من سورية.

لماذا هذه الأفعال الهمجية؟! هل لأن أهلها خرجوا منذ العصر الحجري الوسيط من المغاور والملاجئ إلى السهول ووديان الأنهار، وقاموا بعمليات الاستقرار والبناء، ومارسوا الفنون والمعتقدات الأولى، وجسّدوا أول وحدة حضارية للمشرق القديم.. هل لأنهم صنعوا الفخّار، ونقلوا البشر من حياة الصيد والالتقاط إلى ممارسة الزراعة وتدجين الحيوانات، وحوّلوا الإنسان من مستهلك سلبي لثروات الطبيعة، إلى منتج إيجابي لتلك الثروات... هل لأن شعبها صنع الأدوات الأولى، وطوّر الفنون، واستخدم لأول مرة الدولاب البطيء ثم السريع، وأحدث ابتكارات لا تحصى في مجالات الصناعة والتجارة والعمران والكتابات والقوانين والمدارس قبل أي منطقة في العالم..

لماذا هذا الحقد اللئيم؟! هل لأن شعبها الأبي الكريم، كان وما زال منذ القدم، يحمل في كيانه طبيعة إنسانية، كليّة تقرّب بينه وبين أخيه، مهما اختلفت أفكاره ومعتقداته وآراؤه الجانبية.. هل لأن الفعل الحضاري على أرض سورية، كان عبر التاريخ، يؤكد أن العقد أقوى من أي سلاح، منذ أن فكّر إنسانها في صناعة وتطوير الفأس اليدوية، من حجر الصوّان إلى صناعة الفخّار، وإقامة المنزل الدائري وتطويره إلى المنزل المستطيل، إلى تشكّل نواة القرى والمدن الأولى، ووضع الأسس الأولى لبناء الحضارة الإنسانية في منطلقها الأول الذي يمكن الإنسان من القيام بالفعل الحضاري والثقافي الخلاق، وكان في فعله هذا حريصاً على إجراء مصالحة بين التقنية والثقافة، بتغليب القيم على التقنيات.. هل لأن الإنجاز الحضاري للإنسان السوري، عبر التاريخ، كانت القيم فيه فاعلة وقوية وكليّة.. هل لأن هذا الفعل كان تأثيره قوياً وفاعلاً على حضارات وفنون العالم أجمع.. منذ البداية فهم الإنسان السوري، أن هناك فسحة بين حياة الطبيعة، وحياة الحضارة، وهذه الفسحة تملؤها القيم، وبهذه القيم النبيلة، تمكّن الإنسان السوري من صنع فردوسه الأرضي على أساس من معرفة الحقيقة التي تمهد الطريق.. طريق البشرية، أمام تحقيق الخير، وإبداع الجمال.

لماذا هذه الكراهية لسورية؟! هل لأن شعبها عرف عبر التاريخ، كيف يمجد العقل، الذي يقوده إلى الحلم وسعة الصدر وحسن الثقة، وضبط النفس وحب الناس، والابتعاد عن فعل الشر.. هل لأن أدبيات شعبها تطالب دائماً بمجالسة العقلاء، أعداء كانوا أم أصدقاء، فالعقل يقع على العقل، والعقل يقود إلى العلم والحلم والأمل والتسامح والمحبة والإخاء.

نقول لمن يحاول تدمير سورية مدفوعاً بهجمة بربرية لا حدود لها.. هناك دائماً تحد واستجابة، وسورية عبر تاريخها العريق، تعرضت سابقاً لهجمات بربرية عديدة، وكانت دائماً تعرف جيداً كيف تصدّ وتبعد عنها الهجمات والتحديات.. لقد كان فعل إنسانها يخلق قواعد حضارية أقوى بكثير من التحدي، يحول الحزن إلى فرح، والخراب إلى بناء، واليأس إلى آمال واعدة، والأحلام إلى حقيقة لا أحلى ولا أجمل.

د. علي القيّم

السينما السورية تجدد «شيوخها»

احتفالية غابت عنها روح الشباب وحضرت التقليدية

الكبـار قـدموا أنفسـهم كـ«رهنٍ» للـشباب

جانب من الحضور

المكرمون مع مدير عام مؤسسة السينما

عامر فؤاد عامر
تصوير: طارق السعدوني

تستمر المحاولة في حثّ العنصر الشاب ودعمه ليكون أكثر فاعليّة في العطاء وفي تقديم الفرصة التي يمكن أن تتاح له، وهذا ما عملت عليه المؤسسة العامة للسينما لدينا في فتح باب الفرصة السينمائية التي يحلم بها كثير من شبابنا المبدع، ومهما كانت التعليقات والملاحظات يبقى لمجرد منح هذه الفرصة لشبابنا شيء من التميز وسابقة لم تكن قد منح مثلها.

في افتتاح المهرجان لغة خاصة تحمل طابعاً، يكاد يكون هو العلامة الفارقة غالباً، والتي تميز أي مهرجان عن غيره، فالبروتوكولات تكاد تكون واحدة إلا في حفل البداية، وأعني أن في كل مهرجان يوجد لدينا لجنة تحكيم ومجموعة أفلام ومكرمون وفائزون... إلخ وهذا متشابه من أكبر مهرجان سينما إلى أكثرها تواضعاً، ولكن لحفل الافتتاح نكهة الاختلاف بين كلّ مهرجان وغيره وحتى في الدورات المختصة في كل مهرجان على حدة، وفي حفل افتتاح مهرجان سينما الشباب والأفلام القصيرة الثاني كان لدينا طابع خاص في حفل الافتتاح أيضاً.

ثلاثة ممثلين شباب كانوا من قدّم الحفل بطريقة مقاطع تمثيليّة تعبّر عن خطوة الدعم التي قدّمتها المؤسسة العامة للسينما، منذ مرحلة الإعلان إلى مرحلة كتابة النص وتقديمه والعمل على إخراج الفيلم وانتقاء ممثليه والمشاركة في المسابقة، وتخلل هذا التقديم استضافة شخصيّات لها بصمة خاصّة في السينما السوريّة خلال تاريخها مع أفلام توثيقيّة حملت لقطات من الصورة القديمة المصطبغة برائحة التعب والإبداع والاجتهاد للأوائل الذين مهدوا الطريق لمن جاء بعدهم في عالم السينما.

لفنان الشعب القدير «رفيق سبيعي» طلته الخاصّة فكان أول من ألقى كلمة في الافتتاح حاملاً ملاحظات وذكريات رواها على الحضور ليبقى الصورة الحاضرة في ذهن الكبير والصغير فينا، ومن الضيوف الذين شاركوا في الافتتاح أيضاً بهجت حيدر الذي حدّثنا عن فيلم «المخدوعون» باختصار وكيف كان هذا الفيلم الذي يعدّ من أنجح أفلام السينما العربيّة التي تحدّثت عن القضيّة الفلسطينيّة والذي جاء عن رواية «غسان كنفاني» وتحدّثنا عنها في مقال خاصّ سابقاً، وشاركه الحديث عن الفيلم أحد أبطاله وهو الفنان «بسام لطفي» الذي ذكر لمحات سريعة في ذكرياته مع المخرج «توفيق صالح». ومن المشاركات أيضاً «لينا حوارنة» بطلة فيلم «نسيم الروح»، الفنان «تيسير إدريس» الذي قدّم رقصة للذكرى مع المخرج عبد اللطيف عبد الحميد»، وأضفى بهذه الرقصة جوّاً جميلاً يليق باحتفالية تدعو للتفاؤل والتطلع لإنجازات إبداعيّة مستقبلية تليق بشباب سورية، وبعدها ألقى المخرج عبد اللطيف عبد الحميد كلمته للمهرجان، من ثم كانت الفنانة ميادة بسيليس وأغنيتها «باقيين» كختام للحفل مع الفرقة الراقصة المؤلفة من طلاب وخريجي المعهد العالي للفنون المسرحيّة – قسم الرقص.

تلك كانت لمحة عما جرى يوم الافتتاح إضافة للفيلم التوثيقي الذي روى حكاية خاصّة عن السينما السوريّة عبر تاريخها، مع كلمة مدير المؤسسة العامة للسينما «محمد الأحمد»، التي شكر فيها الحضور وأثنى على الجهود المبذولة للمشروع وخطاه المتسارعة على الرغم من عمره القصير زمنياً، وتعرفنا بعدها على أعضاء لجنة التحكيم وهم: عبد اللطيف عبد الحميد، سعد القاسم، ميسون أبو أسعد، محمد عبد العزيز، رجاء مخلوف.

ليأتي دور التكريم، وأسماء المكرمين في هذه الدورة: علي ليلان «مدير الإضاءة»، ومدير الإنتاج «جورج بشارة»، ومدير التصوير «منير جباوي»، والمخرج «غسان شميط»، والفنانة «فاديا خطاب»، والفنانة «نادين خوري»، والفنان «رفيق سبيعي»، فكانت البداية والختام له. وجرى بعد انتهاء الحفل عرض للأفلام القصيرة الفائزة في الدورة الأولى من المهرجان.

ما يلاحظ على هذه الدورة هو مجموعة العناصر الكثيرة التي تدل على وجود تاريخ حقيقي للسينما السورية وموادها الكثيرة لكن في حفل الافتتاح بدت غير منسجمة مع بعضها ولربما كلمة مخرج العرض «مأمون الخطيب» بررت لنا ما حصل من تأخيرات تقنية وعدم وصول صورة متكاملة بين مقدمي العرض الممثلين الثلاثة «لجين اسماعيل» و«يامن سليمان» و«أريج خضور»، وهو أن التحضير كان قبل يومين فقط من الافتتاح، بالتالي النتيجة تعدّ ممتازة مقارنة بالوقت الممنوح لهم!

لكن البروشور المقدّم لهذه الدورة لم يحمل حالة من الوضوح كما كان في الدورة الأولى التي عرفت بمخرج الفيلم وكاتبه، على حين في هذه الدورة كان المرور سريعاً على وقت العرض واسم الفيلم فقط، وكان الأجدر أن يكون التعريف شاملاً بالشباب الذي قدموا واجتهدوا وصولاً لأيام العرض، فالمهرجان معنيّ بهم أولاً وأخيراً!

في الدورة الأولى بدا حضور الشباب واضحاً أكثر في الشكل الرسمي لحفل الافتتاح على حين في حفل الافتتاح الحالي كانت الإشارة للشباب ضعيفة إلى حدٍّ كبير لولا الإشارة في الفيلم التوثيقي «ضعيف المنتجة» الذي عرض على الحضور وكلمة «السينما السوريّة تجدد شبابها والتي جاءت بعد مرور منتصف الوقت على حفل الافتتاح. وقد كان كل من حضر وتكلم وتحدث هم من الجيل القديم ولم يكن للشباب أي حضور في الكلام والحديث عما أنجزوه وقدموه خلال أكثر من عام مضى، فهناك من حصد الجوائز وهناك من شارك منتجه في مهرجانات دولية وإقليمية وقد ذكرنا عنها بالتفصيل في مقالاتٍ مفصلة في «الوطن».

من الملاحظات التي يمكن لنا ذكرها أيضاً الحديث عن المعهد السينمائي الذي أشار إليه مدير المؤسسة وهو خطوة وبادرة فاعلة وقد درست فيه دفعة أولى وهو يدرس علوم السينما من إخراج وفنون سينمائية أخرى وهذه بادرة طيبة علينا أن نثني عليها ونتابع ما يمكن متابعته من نتائج ستقدمها.

عبد اللطيف: لست ملكاً لنفسي أنا رهن للشباب

رئيس لجنة التحكيم للدورة الثانية من المهرجان المخرج «عبد اللطيف عبد الحميد» ولدى سؤالنا عن المسؤوليّة في اختيار الفيلم الأفضل لهذه الدورة يقول: «المسؤوليّة تشكّل لي عبئاً حتى في الحياة اليوميّة خاصّتي، فكلّ خطوة على دراستها، فالشعور بأنّني لست ملكاً لنفسي هذا بحدّ ذاته شعور له معنى كبير، فلا يجوز لي أن أخذلهم أو أخيب آمالهم، حتى على صعيد السلوك الشخصي، فهؤلاء مؤمنون بي، وهنا يقع العبء الحقيقي. أمّا العلاقة مع الشباب في هذا المهرجان؛ فأنا أعلم أنهم يعوّلون الكثير على وجودي معهم، فوجود ٢٦ فيلماً مع جهود مبذولة وتعب وإبداعات متنوّعة، بالتالي سأكون حذراً في التقييم، لأن هناك نتيجة ستظهر، فكما أنه سيكون هناك فائز فكذلك هناك من سينحّى فيلمه جانباً، وسأكون عادلاً في تقييمي ولكن نتيجة تصويت أعضاء لجنة التحكيم، وعدد الأصوات هي من سيحكم في النهاية». وفي مشروع دعم سينما الشباب وما يتعلق بفترة التصوير المحصورة في يومين فقط لكلّ تجربة يعلّق «عبد الحميد»: «برأيي هي فترة قليلة، فمن وجهة نظري؛ على الأقل يجب منحه ٥ أيام يتروى خلالها في تقديم عمله كما يجب، لكن مع ذلك وضع الشاب أمام تحدّ في يومين، ليصنع فيلماً قصيراً، فهذا بحدّ ذاته جميل جداً».

شميط: فرصتنا نادرة مقارنة بفرص شباب اليوم

المخرج «غسان شميط» أحد المكرمين في الدورة الثانية من المهرجان، وعن تكريمه يقول: «أن يأتي التكريم من المؤسسة العامة للسينما؛ فهذا يعني لي الكثير، وكيف ذلك وأنّني ابنها وأنتمي إليها! فهي من قدّم الفرصة لكلّ المخرجين السينمائيين السوريين، وهي من منحتنا الراحة في صنع الفيلم السوري النظيف فنيّاً وفكريّاً، وهذا ما حافظت عليه على مدى سنوات وسنوات، والتكريم يعني لي أنّه اعتراف بما قدّمته وما أنجزته سينمائياً بعد هذا العمر، وهو حافز بالنسبة لي لأقدّم المزيد والمزيد، وإذا سألتني ما الفيلم الأجمل الذي صنعته سأقول بأنّه: الفيلم القادم». أيضاً «غسان شميط» كان أحد أعضاء لجنة التحكيم في الدورة الأولى من المهرجان، وعن مستوى الأفلام التي تمّ اختيارها وترتيبها في الدّورة الأولى يقول: «أولاً الفرصة التي قدّمتها المؤسسة للشباب هي فرصة مهمّة جداً، وعندما كنّا شباباً لم نحظَ بمثلها أبداً، وكانت فرصتنا نادرة بالمقارنة مع اليوم، وهي سابقة لم تقدّمها مؤسسة سينمائيّة من قبل، وبالنسبة لمستوى الأفلام التي دخلت المسابقة في الدورة الماضية؛ فقد كانت مختلفة المستويات، لكن القسم الأكبر منها جيد ولائق، بدليل الجوائز التي حصدها بعضها في مهرجانات خارج سورية».

«المخدوعون» ألا يزال شباب السينما السورية؟

من عرض الافتتاح

الضباب رواية وجود.. يهيمن الشر ويموت الطيبون

الروائي يصنع الأقدار ليقدم رواية فلسفية لكنها...

إسماعيل مروة

كانت الرواية بحاجة إلى دراسة متعمقة في الأديب والرواية على السواء، وقد أحسن المترجم في مقدمته حين أشار إلى اختصار الخصائص الكتابية لميغيل دي أونامونو، ولخصوصية روايته الضباب، ولا أنكر بأن هذا التقديم للرواية شكل حافزاً لقراءتها بسرعة، إضافة إلى ما عرف به المترجم جعفر العلوني من إخلاص للأدب الإسباني وترجمته وتقديمه للقارئ العربي، وحسبه أنه لم يكتف بالمعروف الشائع عند القارئ العربي، بل فتح صفحات تكاد تكون مجهولة ومطوية من الأدب الإسباني، وكان له السبق الأول في تقديمها للقارئ.

الضباب عنوان ودلالة

اختار المؤلف لروايته عنوان الضباب، وهذا العنوان فيه من الدلالات والإيحاءات ما فيه، ومع تقليب الصفحات الأخيرة من الرواية يلمس القارئ أنه يقلب حياة هي أقرب ما تكون إلى الضبابية، وعدم الوضوح لدى بطل الرواية، لذلك كان لابد من تدخل المؤلف، وتحوله إلى شخصية محورية في الرواية ينهيها كما يريد هو، ويقدم رؤيته الخاصة بتداخل مقبول ومحبوب ومفسّر للضبابية التي لفت سيرة ابن أمه، وفاقد الأم والحنان الحالم أوغوستو، الذي يمثل خطاً مستقيماً للحياة، لا يتغير مطلقاً، والتنامي الذي حصل في شخصيته كان فجائعياً، وكان ضرورياً في سيرورة الرواية، إذ لا يملك الروائي وأوغوستو سوى هذا التطور الصاعد إلى سماء تستقبل الطيبين ورفاقهم، وتترك المساحة الأرضية لإيوخينيا وحبيبها المتواطئين ضد طبيعة الأشياء، وضد إنسانية الإنسان... وكان الضباب يلف الرواية، ويلف رؤية أوغوستو الذي كانت الأشياء واضحة أمامه تمام الوضوح، ولكنه لم يشأ أن يدفع الضباب بيديه لتصبح رؤيته مقنعة، ليرى روساريو وكلبه والخدم لديه، الجميع يرى إلا هو، الضباب يلف حياته وروحه، لذلك وصل إلى ما وصل إليه من دون أن يلتفت إلى أي تحذير يمكن أن يصدر عن هذا الحدث أو هذا الشخص! إنه ضباب الرواية وضباب الشخص ورؤيته.

تضاد وتواطؤ

تبدأ الرواية مع تتبع أوغوستو لإيوخينيا التي فتنه طيفها، وكأنه يخرج من عباءة المرأة التي أنجبته أمه بعد رحيلها، وها هو يصرّ ويلح ليعرف البيت ويحادث البوابة، ويعرف أن للفتاة حبيباً، ويصرّ على البقاء وعلى الصراع، ترى أكان أوغوستو يعلم أنه غير قادر على الحرب؟ وأونامونو لوّث أوغوستو وطيبته بالمال إلى درجة كبيرة، فجعل القارئ يتوهم كما إيوخينيا بأن الحلول التي يقدمها أو يمكن أن يقدمها كلها حلول مالية، لأنه ملك ما لا يملكون! ولكنه في الوقت نفسه هو طيف حالم لا يعرف الواقع أو لا يعرفه، مرفوض ممن حوله لحلمه، مقبول من ذاته لاختلافه.. هل هو موجود أم لا؟ هل هو حكاية المؤلف؟ هل هو حلم مزعج رآه أونامونو وقدمه ليتدخل في نهايته؟ هل هو صراع من نوع ما بين حقيقة الحياة، ورؤية الحالمين؟ وماذا يشكل المال عند الإنسان؟

المكن وغير المكن

السؤال المطروح هل كان أوغوستو موجوداً؟ هل هو حقيقة؟ وهل هناك هذا القدر من الطيبة والغفلة؟ وإن كان طيباً حقاً ومتسامحاً حقاً لمَ انتهى هذه النهاية الفجائعية الغريبة؟ كيف أثر فيه الغدر إلى هذا الحد؟ لمَ تركه أونامونو خاوي الوفاض من كل شيء؟ لماذا خسر كل ما بين يديه من أحاسيس واحتفظ بالمال؟ نموذج مثالي يمشي من دون أي احتراز من مطب، ومن دون أن يتعلم من أي حدث مهما كان هذا الحدث مؤشراً، ومع إيوخينيا وحبيبها، روساريو وحبيبها ومع شخصه الذي يحيا بلا حب، ولا يجيد الحب، وإن جاءه الحب طرده، وإن نفر منه الحب لحق به وحاول أن يقتنصه، ولكنه لا يملك إلا قبعة وجلوساً على أريكة ومحاولات غير مكتملة!

يعلم أوغوستو بأن لإيوخينيا حبيباً، تخبره الحارسة، تخبره عمتها، تخبره هي، لكنه يريد أن يتابع لعبته غير عابئ بشيء الكناري عندهم يقابل الكلب، تقليدية العمة وفوضوية زوجها نموذج مهم للتلاعب بأوغوستو، وشخصية إيوخينيا التي جذبته تتعلق بأصابعها والعزف، لكنها تخبره بأنها تكره العزف ولا ترغب فيه إلا أنه وسيلة حياة لها، ولا يتنبه، وحبيبها العاطل عن العمل تخبره عنه ولا يكترث، ظناً منه أن الطيبة قد تتفوق على المراوغة، ويصدم الروائي القارئ بالحديث القاسي بين إيوخينيا وحبيبها، الذي يدعوها إلى أن تستغل أوغوستو، تشمئز إيوخينيا، تزيحه من دائرة ذاتها، لكن الرواية تظهر هذا التواطؤ بينهما، فتنتهي مع حبيبها غير عابئة بمن أعطاها وشغله وألغى رهن البيت.. وكان أونامونو قاسياً عندما ألح على لسان أوغوستو في مرات كثيرة من الرواية، بأنه فك الرهن لا لشيء، ولا يريد من ذلك شيئاً، لكن التواطؤ جعل الأمر صادماً، وكأن طبيعة البشر الشريرة روحياً كما عند إيوخينيا ترفض أن تكون النفس كريمة!!

عالم متناقض متطابق

أوغوستو مع صديقه يطلع على العالم كما هو، يريه كيف يعيش ذاك مساكنةً، وكيف قررت تلك أن تحمل، ويطلع على الصراع، ويتابع روساريو وعملها في محل كي الثياب، ويدفع كلاً من روساريو وإيوخينيا إلى الغيرة، ويجعله المؤلف متحكماً بالخيوط سعيداً بالغيرة ليكتشف أنهم متواطئون، الجميع يعرف التفاصيل والدقائق حتى الخدم، إلا هو، وهناك إيماءات بسقوط الكناري، وإشارات التنبيه من الكلب، لكن الحلول الفجائعية تأتي من صفحات إيوخينيا ترحل مع العاطل الذي أمّن له عملاً تاركة له رسالة تنص على أنه صديق وحسب، وحبيبها يعرف روساريو، وروساريو تذهب مع حبيبها، والوحيد الكلب الذي أصرت إيوخينيا على رحيله بعد الارتباط يبقى إلى جواره.

ما بين صديقه القديم والطبيب المعالج، والروائي الذي يدخل في الوقت المناسب تنتهي الحكاية وكأننا نجلس أمام حكواتي بارع يأمرنا بأن نغادر في جنازة مشتركة لأوغوستو وكلبه الوفي الذي مات معه.

طلب أوغوستو من الخدم أن يمددوه عارياً كما أنجبته أمه، فهو لا يزال مربوطاً بحبلها السري، وأكل حتى التخمة، وربما كان هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنه فعله من تلقاء ذاته، بعد أن عجز عن الحب بعد أن سحبت أيوخينيا قبعتها وجلست روساريو على ركبتيه.

وتبقى «الضباب» رواية وجود وحياة، وليست رواية عشق وغرام، هي رواية حياة وأسلوب تعامل مع هذه الحياة، وفيها إشارات خطرة إلى موت الطيبة، وانتصار الشر، فقد رحل كل شيء حتى الكلب، والكناري غاب عن المشهد، وبرحيل إيوخينيا توقف العزف!! هل غاب الجمال عن المشهد، وبقيت الحياة ملأى بالأشرار؟ ربما..

ضباب الرواية ووضوح الرؤية وحضور التضاد والتواطؤ ورواية خارجة عن قانون القص